الانتفاضة وزخمها ، وبالتالي يصيبها شيء من التردد في تحديد افق الانتفاضة السياسي وشعاراتها السياسية . ولكن مع استمرار الانتفاضة ، واشتراك المزيد من الجماهير فيها ، لا بد من تحديد الافق السياسي لها ، عبر شعارات سياسية محددة تتلاءم والمدى الذي بلغته الانتفاضة ، تلتقطها الجماهير وتستوعبها وتناضل من اجلها ، والا فان نضالات الجماهير قد تبدد في متاهات عديدة ، وتفقد زخمها السياسي ، مما يسهل على العدو ضربها وسحقها . والانتفاضة الشعبية التي تعم فلسطين المحتلة الان ومنذ اشهر ، تطرح على كل القيادات الوطنية امرا في غاية الاهمية ، وهو ماذا نريد من الانتفاضة ؟ ما هي الافاق المفتوحة امامها ؟ كيف نعمل على تطويرها ودفعها خطوات اكبر الى الامام ؟ هل نكتفي بالدعاية لها ، والاشادة بجماهيرنا في الارض المحتلة ، ام ان واجبنا اكبر من ذلك بكثير ؟ ان هذه الاسئلة وربما اخرى غيرها لا بد من الاجابة عليها ، ولا يمكن في هذا المقال الاحاطة بكل هذه الاسئلة ، وكبداية اطرح بعض التصورات والاقتراحات ، على امل ان تشكل مدخلا او نافذة نلج منها الى هذا الموضوع الكبير والهام .

لقد طرحت الانتفاضة ، جملة من الحقائق ، قد تكون بدبهية ، ولكن لا بد من التأكيد عليها حتى لا تغيب عن الذهن . وهذه الحقائق هي (١) ان المقاومة ليست عمليات عسكرية محضة ، بل هي فعل جماهيري ، هي احداث اقوى التاثيرات في اوسع الجماهير وزجها في المعركة . هي تجنيد وتعبئة الجماهير من كل الفئات الوطنية عبر اشكال من العمل التنظيمي والسياسي والعسكري ، مختلفة ومتفاوتة . ومن هنا تكتسب العمليات العسكرية عمقها وفعلها في اوساط الجماهير . وفي هذا المجال لا بد من التذكير بالوضع الذي يعيشه قطاع غزة الان ، على الرغم من انه قبل سنتين ، كان يمثل ـ عسكريا ـ حالة متقدمة . (٢) لقد اكدت الانتفاضات المتتالية في فلسطين المحتلة ، ان جماهيرنا هناك طاقة ، وطاقة كبيرة جدا عندما تدفعها الاحداث من الامكان الى الفعل ، من الكمون الى الحركة ، من الجمود الى النشاط . وهذه الطاقة ، تفرض علينا ان نتعلم جيدا ، كيف يجب ان نعبئها ونجندها في نضالات مستمرة وعبر سياسات صائبة . (٣) ان الجماهير لا تتحرك بنشاط وفعالية ، عبر السياسات والشعارات العامة ، فدائما وابدا تنشطها القضايا المحددة التي تتلمسها عن قرب . وترى آفاقها المنظورة او القريبة . ان الاستيطان الصهيوني في المناطق الآهلة بالسكان ، لم يثر الجماهير بنفس الفعالية والزخم الذي اثارها استيطان مناطق قريبة من التجمعات السكانية او في وسطها . وايضا قد نرى الجماهير هادئة ساكنة ، تعيش حياتها اليومية العادية بشكل عام ، ولكن حادثا صغيرا ، كاقتحام مدرسة مثلا ، او اطلاق النار على تظاهرة للطلبة ، يقضي على هدوئها ويدفعها الى ساحة المعركة بزخم . شبه راديو العدو الوضع في نابلس اثر اقتحام مدرسة قدري طوقان بأنه « عاصف جدا واشبه بكرة من الثلج تتدحرج وتجمع زخما وقوة خلال تدحرجها » (٤) . وهذا يعني ان انتقال الجماهير من حالة الكمون الى حالة النشاط ، امر لا يمكن التنبؤ به مسبقا في اغلب الاحيان . وهذا يفرض الاستعداد المسبق للحركة الوطنية لاستيعاب هذه الحالة وتوجيه نشاطات الجماهير الوجهة الصحيحة ، وذلك عبر تحديد اي الشعارات السياسية اكثر صوابية ، واكثرها قدرة على تحريك الجماهير واستقطابها .

على ضوء هذه الحقائق ، ماذا نريد من الانتفاضة ؟ من الواضح ان الانتفاضة ، اي انتفاضة ، لا بد من نهاية لها ، وقد لا تحقق الجماهير من هذه الانتفاضة كل ما تبتغيه ، ولكن حتما ستحقق بعض النتائج لصالحها ، ان لم يكن على المدى القريب